



خطبة الجمعة: 04/03/2011م

الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

سلسلة تربية الأبناء

الخطبة الثامنة: الرسول الحربي 4

(التربية بنظرة العين)

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه وخليله، خير نبي اجتبا، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كره، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى وأحثكم وإياي على طاعة الله، و أستفتح بالذي

هو خير:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: 6].

- قال سيدنا علي رضي الله عنه: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾: أي علموا أنفسكم وأهليكم الخير.

- وقال مقاتل: هي أن يؤدب المسلم نفسه وأهله، فيأمرهم بالخير وينهاهم عن الشر.

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ))⁽¹⁾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ))⁽²⁾.

هذه هي الخطبة الثامنة في سلسلة تربية الأبناء، وهي الخطبة الرابعة في موضوع الرسول المربي. وهدف هذه الخطب في هذا الشهر أمران:

أولهما: أن تكثرُوا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
وثانيهما: أن نتعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نربي أبنائنا، فقد ربي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءً وأصحاباً صاروا بتربيته خير أمة أخرجت للناس، وعنوان خطبة اليوم:

الرسول المربي (4)

(الترية بنظرة العين)

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: ((لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ قَالَتْ امْرَأَةٌ: هَيْئًا لَكَ الْجَنَّةُ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهَا نَظَرَ غَضَبَانَ فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَارِسُكَ وَصَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَاللَّهِ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَمَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي))⁽³⁾.

✓ وفي حديث الثلاثة الذين تخلفوا عن المسلمين في غزوة تبوك، قال سيدنا كعب بن مالك رضي الله عنه وكان واحداً من الثلاثة الذين تخلفوا وتابوا: ((كُنْتُ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، فَإِذَا انْتَفَتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي))⁽⁴⁾.

✓ وفي حديثه صلى الله عليه وسلم قال: ((من نظر إلى أخيه نظر ود غفر الله له))⁽⁵⁾.

✓ وجاء في الحديث: ((من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه بها في غير حق، أخافه الله يوم القيامة))

(6).

⁽¹⁾ (متفق عليه) (البخاري 6618، مسلم 203)، عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

⁽²⁾ (رواه الترمذي برقم: 1875، عن عمرو بن سعيد بن العاص).

⁽³⁾ (رواه الإمام أحمد برقم: 2020، عن ابن عباس رضي الله عنه).

⁽⁴⁾ (رواه البخاري، برقم: 4066، مسلم، برقم: 4973، عن كعب بن مالك رضي الله عنه).

⁽⁵⁾ (الحكيم الترمذي).

⁽⁶⁾ (رواه الطبراني).

✓ وجاء في الحديث: ((من نظر إلى مسكين نظرة رحمة، نظر الله إليه نظرة رحمة))⁽⁷⁾.

• وفي القرآن الكريم في سورة محمد: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾، [سورة محمد: 47].

• وفي سورة الأحزاب: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، [سورة الأحزاب: 19].

قال القرطبي المفسر: وصفهم بالجن، وكذا سبيل الجبان ينظر يمناً وشمالاً محدداً بصره، وربما غشي عليه.

أيها الإخوة:

يستطيع المرء أن يتعامل مع من يربيه من أبناء وطلاب بالأقوال والأفعال، لكنك أيضاً تستطيع أن تتعامل معهم وتربيهم بالنظرات، وكما سمعتم في النصوص القرآنية والنبوية السابقة، هناك نظرة غضب، وهناك نظرة سرور، هناك نظرة خوف، وهناك نظرة إخافة.

فالعين ليست وسيلة لرؤية الخارج وحسب، بل هي وسيلة بليغة للتعبير عما في الداخل، أي ما في النفوس والقلوب، ولعل من أعلى أنواع التربية أن تربي أولادك بنظرة العين.

➤ قال ابن القيم: إن العيون مغاير للقلوب، بها يُعرف ما في القلوب، وإن لم يتكلم صاحبها.

➤ ويقول خبراء علم النفس: إن 87% من المعاني تأتي عن طريق العين.

➤ وقديماً قال البلغاء: إن العين تحكي غضب صاحبها أو حزنه أو فرحه، أو قلقه.

بل إن العامة قالوا في كلامهم: فلان نرى الشر بين عينيهِ، وفلان عيونه ترقص فرحاً، ويقول أحدهم لمحدثه: ضع عينك في عيني.

وحَدَّث فتاة أديبة أصحابها قالت: رُبِّيت من صغري على لغة العيون، فعندما كنتُ أخطئ كنتُ أرى ردة فعل أُمِّي بعيونها، وعندما حصلنا على درجاتٍ عالية في دراستي رأيت التقدير والفرحة بعيني أُمِّي.

⁽⁷⁾ رواه أبو نعيم في الحلية.

- وفي الشعر العربي قالوا:

إن العيون لتبدي في ما في القلوب من البغضاء

- وقالوا:

العين تبدي الذي في قلب من الشنأة أو حبٍ إذا

إن البغيض لـه عينٌ لا يستطيع لما في القلب

فالعين تنطق والأفواه حتى ترى من صميم

فإذا كانت كل هذه التعابير موجودة في النظرات، وإذا كان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يربي من حوله بنظرة العين.

- كيف تمارس التربية بنظرة العين؟

أقدم لكم أربعة نقاطٍ هي الواجب العملي من هذه الخطبة، بها تستطيع أن تربي أبنائك وطلابك بنظرة العين.

أولها: درّب نفسك على أن تتعامل مع أبنائك وطلابك بنظرة العين:

أما طريقة التدريب: فتستطيع أن تدرب نفسك على ذلك باتباعك لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في تعامله مع بصره من خلال أمور ثلاثة:

1- لا تنظر بعينيك إلى حرام، حتى لا تُطفئ نور الله من عينيك، فإن النظر إلى الحرام يؤذي العين، ويمرض القلب، ويطفئ نور الله في المرء.

ذكروا في كتب التراجم أن الشافعي لقي الإمام مالك في المدينة وأخذ عنه، فلما أراد الانصراف من المدينة جاء فودع الإمام فقال له الإمام مالك: يا غلام، أرى بين عينيك نوراً فلا تطفئه بالمعاصي،

﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾، [سورة النور: 40].

2- كان النبي صلى الله عليه وسلم خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، فلا تكثر من الالتفات والنظر الذي من غير فائدة، فإن كثرة الالتفات تُقلّل الهيبة، وتذهب الفكرة.

3- كان صلى الله عليه وسلم جُلّ نظره الملاحظة. فاحرص أن يكون في نظرك عبرة وفكرة، ولا تجعل نظرك بلا فائدة، فقد كان صلى الله عليه وسلم كلامه ذكراً ونظره عبرة.

ثانيها: درّب أبنائك على الفهم عنك بنظرة العين:

أما طريقة تدريبهم فبأمرين:

1- لا تتكلم عندما ينوب النظر عن الكلام، ويفهمون عنك مرادك، فقد قالوا:

تكفي اللبيب إشارة مرموزة وسواه يدعى بالنداء العالي
وسواهما بالزجر من قبل العصا ثم العصا هي رابع الأحوال
2- إذا لم يفهم ابنك مراد نظرتك، فأعلمه على انفراد ماذا أردت بنظرتك تلك.

ثالثها: كافئ المحسن من أبنائك بالنظر إليه نظرة سرور ورضا:

وطريقتها: انظر إلى عيني ابنك مبتسماً وأطل النظر، وقل في قلبك من دون أن تحرك شفتيك: أنا مسرور منك، رضي الله عنك.

رابعها: نبّه المخطئ من أبنائك بالنظر إليه نظرة المغضب، وطريقتها: انظر إلى عيني ابنك مقطب الحاجبين، ولا تطل النظر، ثم أبعد نظرك عنه.

- وبإمكانك في خطأ أكبر أن تشيخ بوجهك عنه، ولا تنظر إليه البتة.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، [سورة

الأحزاب: 56].

- والحمد لله رب العالمين.